... هكَذا يُسْر الشَّريعة...

وفي سرية ذات السلاسل جرت هذه الحادثة ، والتي فيها من العبر والعظات الشيء الكثير :

عن أبي قيس مولىٰ عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه كان علىٰ سريّة ، وأنهم أصابهم بردٌ شديد لم يُر مثله ، فخرج لصلاة الصبح ، فقال: والله لقد احتلمتُ البارحة ، ولكنّي والله ما رأيتُ برداً مثل هذا ، هل مرّ علىٰ وجوهكم مثله؟

قالوا: لا ، فغسل مغابنه وتوضّأ وضوءه للصلاة ، ثم صلّىٰ بهم.

فلما قدم علىٰ رسول الله ﷺ ، سأل رسول الله ﷺ: «كيف وجدتم عمْراً وصحابته لكم؟».

فأثنوا عليه خيراً ، وقالوا: يا رسول الله ، صلّىٰ بنا وهو جُنب!!.

فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ عمرو فسأله ، فأخبره بذلك وبالذي لقي من البَرْد.

فقال: يا رسول الله ، إن الله تعالىٰ قال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]. ولو اغتسلتُ مُتُّ ، فضحك رسول الله ﷺ إلى عمرو[1].

ـ وفي رواية أخرىٰ ـ أن عمرو بن العاص رضي الله عنه صلّىٰ بالناس وهو

---

(١) عيون الأثر: ٢/ ١٥٧ ، سنن أبي داود: ١/ ٢٣٨.

جُنب ومعه ماء ، لم يزد علىٰ غسل فرجه ، وتيمّم!![1]

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

هكذا علّمت الأجيال اليُسر لا العُسر ، واللين لا الشدّة ، والصّدر الرحب في المعاملات، فتكوَّن جيلٌ فريدٌ لا مثيل له، كيف لا، وللمدينة المنورة هذا الطابع الرائع حتىٰ اليوم، فكأنها قطعة من جنّة الله سبحانه:

اقطـع زمـانـكَ إنْ سعـدْتَ ببلـدةٍ حوتِ الرسول فتلك أطيب تُربةٍ
جـاوِرْه تـأمـنْ أن تُصـاب بشـدّةٍ فـلأنـت أنـت إذا حَلَلْـت بطيبـةٍ
وظللتَ ترتع في ظلال رُباها
هـي جُنّتـي ممـا أخـاف وجَنَّتـي وبجـاه مـن فيهـا تُخلّـص مهجتـي
وإذا نظـرتُ لهـا فـذلـك بُغيتـي معنىٰ الجمال منىٰ الخواطر والتي
سلبتْ عقول العاشقين حُلاها
تلـك المنـازلُ لا نعيـمَ كقُـربهـا تلـك الميـاهُ لنـا الشّفـاء بشُـربهـا
يـاطيـب نفحتهـا وحُسـن مهبِّهـا لا تحسب المسك الذكيَّ كتُربها
هيهات أين المسك من ريّاها
لـمَ لا تطيـبُ ثنـاً وتكـرمُ منبتـاً والمصطفـىٰ حيّـاً حـوتـهُ وميّتـاً
فنسيمهـا يحكـي العبيـر إذا أتـىٰ طـابـت فـإن تبْـغِ التطيّـب يـا فتـىٰ
فأدمْ علىٰ الساعات لثم ثراها

والسؤال الملحّ هنا: لو أن ما جرىٰ مع عمرو بن العاص جرىٰ في أيامنا ، ماذا ستكون ردّة الفعل ، وكم ستصدر فتاوىٰ تكفيرية أو تفسيقية أو . . أو . . ؟!

* * *

(١) دلائل البيهقي: ٤/ ٤٠٢.